﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٣٣﴾ [فاطر: 33]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الرّبطُ بين إيراثِ المُصْطَفَيْن الكتاب وما في الجنّةِ من نعيمٍ وثوابٍ

لما ذكر الله تعالى ورثة الكتاب، وهم أمّة محمد ﷺ، وذكر أقسامهم من حيثُ الاجتهادُ في حملهِ وفهْمِه والاجتهادُ في العمل بأحكامه وتوجيهاته، وبيّن أن ذلك هو الفضل الكبير، ذكر بعد ذلك جزاءهم يوم القيامة فقال: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ﴾.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿عَدۡنٖ﴾: أصل (عدن) يدل عَلَى الإقامَةِ، قالَ الخَليلُ: العَدْنُ: إقامَةُ الإبِلِ في الحَمْضِ خاصَّةً، تَقولُ: عَدَنَتِ الإبِلُ تَعْدِنُ عَدْنًا، والأَصْلُ الَّذي ذَكَرَهُ الخَليلُ هوَ أَصْلُ البابِ، ثُمَّ قيسَ بِهِ كُلُّ مُقامٍ، فَقيلَ: جَنَّةُ عَدْنٍ، أَيْ إقامَةٍ[1]، ويقال: عَدَنَ بالمكان يَعْدِنُ عَدْنًا إذا لَزِمَه ولم يَبْرَح منه، والعَدْن: الإقامَةُ، والمَعْدِن: مَرْكز كُلِّ شَيْءٍ[2]، ويقال المَعْدِنُ: لمستقرّ الجواهر، وقوله تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾ أي: استقرار وثبات[3].

2) ﴿يُحَلَّوۡنَ﴾: (حلو) له ثلاثة أصول: الأول طيبُ الشّيء في مَيْلٍ من النّفس إليه، والثّاني تحسينُ الشّيء، والثّالث – وهو مهموز – تنحيةُ الشّيء، والمناسب هنا هو الأصل الثّاني وهو ما يدل على تَحْسين الشَّيْءِ، ومنه: حُليُّ المَرْأَةِ، وهوَ جَمْعُ حَلْيٍ، كَما يُقالُ: ثَدْيٌ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عدن).
(2) ابن الأثير، النّهاية في غريب الحديث: (عدن).
(3) الرّاغب، المفردات: (عدن).

وثُدِيٌّ، وظَبْيٌ وظُبيٌ، وحَلَّيْتُ المَرْأَةَ، وهَذِهِ حِلْيَةُ الشَّيْءِ أَيْ صِفَتُهُ، ويُقالُ: حِلْيَةُ السَّيْفِ، ولا يُقالُ حُلِيُّ السَّيْفِ[1]، الحَلْيُ اسْمٌ لِكُلِّ ما يُتَزَيَّن بِهِ مِنْ مَصاغ الذَّهَبِ والفِضَّة، والجمعُ حُلِيٌّ بِالضَّمِّ والكَسْرِ[2]، ومعنى ﴿يُحَلَّوْنَ﴾ أي: يَلْبَسون على سبيل التزيُّن والتّحلّي[3].

3) ﴿أَسَاوِرَ﴾: أصل (سور) يدل على عُلوٍّ وارْتِفاعٍ[4] والسّورَةُ المنزلة الرفيعة، والسّوارُ أو السِّوارُ مِنَ الحليِّ معروفٌ، وتُكْسَرُ السّينُ وتُضمُّ، وجَمْعُهُ أَسْوِرَةٌ ثُمَّ أَساوِرُ وأَساوِرَةٌ، وسَوَّرْتُهُ السِّوارَ إذا أَلْبَسْتَه إيّاه»[5] وسِوارُ المرأة معرّب، وأصله: دِسْتِوار، وكيفما كان فقد استَعْمَلَتْه العرب[6]، والمراد هنا أساور الذّهب التي تلبس في الذّراع[7].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

جزاء ورثة الكتاب الذين اصطفاهم اللّه له وأورثهم إياه في الآخرة جنّات إقامة يدخلونها، يتزيَّنون فيها بأساور من ذهب ولُؤْلُؤٍ، وثيابهم في الجنّة حرير أي: ثياب رقيقة[8].

جـــزاءُ ورَثَـــةِ الكتابِ المكرّمين في جنّةِ اللهِ يومَ الدّينِ

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

نكتةُ فصلِ الآيةِ عن سابقتِها:

الفصل في قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ سببه كون الجملة مُستأنَفَةً استئنافًا بيانيًّا مبنيًّا على سؤال مقدَّر عن ذلك الفضل الكبير الذي أشير به إلى ورثة الكتاب بمختلف أصنافهم،

كمالُ الاتصالِ بين الجملةِ المفصولةِ وما قبلها مُبينٌ عن المُرادِ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حلو).
(2) ابن الأثير، النّهاية في غريب الحديث: (حلا).
(3) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 23/ 417.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سور).
(5) ابن الأثير، النّهاية في غريب الحديث: (سور).
(6) الرّاغب، المفردات: (سور).
(7) السّجستاني، غريب القرآن، ص: 68.
(8) لجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص: 648، ونخبة من أساتذة التّفسير، التّفسير الميسّر، ص: 438.

أو إلى السابقين بالخيرات منهم تبعًا لاختلاف توجيه اسم الإشارة كما سلف بيانه: ما آثاره وما مظاهره؟ فقال: ﴿جَنَّٰتُ﴾، أو: ما ذلك الفضل؟ فقيل: هو ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾، أي هي مُسَبَّبَةٌ عن سبب السّبق الّذي هو الفضل[1]، فيكون بين هذه الجملة وما قبلها (شبه كمال اتّصال)، أو أنّها فُصلت عمّا قبلها لكونها بدلًا عن قوله ﴿ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ﴾ أي: بدل اشتمال من قوله: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ﴾، فإنّ مما يشتمل عليه الفضل دخولهم الجنّة، وتخصيص هذا الفضل من بين أصنافه؛ لأنّه أعظم الفضل، لأنّه أمارة على رضوان الله عنهم حين إدخالهم الجنّة، كما قال سبحانه: ﴿وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ﴾ [التوبة: 72][2]، فيكون بين هذه الجملة وما قبلها (كمال اتّصال).

نكتةُ إضافةِ الجنّاتِ إلى ﴿عَدۡنٖ﴾:

بـذلُ الغالي والنّفيسِ لنيلِ الغالي والنّفيسِ

إضافة ﴿جَنَّٰتُ﴾ إلى ﴿عَدۡنٖ﴾ هو من إضافة الموصوف إلى الصّفة، فإنّ ﴿عَدۡنٖ﴾ معناه الإقامة الدّائمة، وذلك وصف للجنات فإنّها دار إقامة وخلود، وفي هذه الإضافة تشويق لورثة الكتاب وحَضٌّ لهم على بذل غاية الجهد في الاعتناء بما ورثوه كي يثبتوا أنّهم جديرون بأنّ يكونوا أهله، وأهله هم أهل الله وخاصته، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مالِكٍ قالَ: قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ لِلّهِ أَهْلِينَ مِنْ خَلْقِهِ» قالوا: ومَنْ هُمْ يا رَسولَ اللهِ؟ قالَ: «أَهْلُ القُرْآنِ، هُمْ أَهْلُ اللهِ وخاصَّتُهُ»[3].

دلالةُ التّعبيرِ بالمُضارعِ ﴿يَدۡخُلُونَهَا﴾:

أولُّ مطالعةِ الخيرِ أقوى لحظاتِ السّعادةِ في التّأثيرِ

أوثر التّعبير بـ ﴿يَدۡخُلُونَهَا﴾ دون (يسكنونها) ثم التّعبير به مضارعًا لأنّه مستقبل[4] وأيضًا "لاستحضار الحالة البهيجة"[5]؛ لأنّ أبهج حالات الإنسان تكون عند مطالعة ما يسعده أولّ مرة؛ فتلك

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 58.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 58، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 314.
(3) النّسائي، السنن الكبرى تحت رقم: (7977).
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 315.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/ 131.

لحظة لا تنسى، فإذا طال العهد بالسّكنى توطنت النّفس على ما ألفَتْه، فتصبح السّعادة والبهجة عادة وطبيعة، ولا تكون على درجتها في الحالة الأولى، ومن ثم كان في استحضار البهجة الأولى تذكيرًا بها لإحيائها في النّفس، وهذا أيضًا من مظاهر النّعيم.

عودُ ضميرِ الجماعةِ في ﴿يَدۡخُلُونَهَا﴾:

الضّميرُ يعودُ إلى خيارين كلاهُما مُعبّرٌ عن الدّلالةِ المتُوخّاةِ

ضمير الجماعة في ﴿يَدۡخُلُونَهَا﴾ يعود على الأظهر إلى ﴿ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا﴾ المقسم إلى ثلاثة أقسام: ظالم، ومقتصد، وسابق، أي هؤلاء كلّهم يدخلون الجنة؛ لأنّ المؤمنين كلّهم مآلهم الجنّة كما دلّت عليه الأخبار التي تكاثرت[1]، وقيل: يعود إلى السّابق بالخيرات وإنّما جمع الضّمير؛ لأنَّ المرادَ بالسّابقِ الجنسُ، وعليه فتخصيصُ حالِ السّابقينَ ومآلِهم بالذِّكرِ، والسُّكوتُ عن الفريقينِ الآخرينِ وإنْ لم يدلَّ على حرمانِهما من دخولِ الجنةِ مُطلقًا، لكنَّ فيه تحذيرًا لهما من التَّقصيرِ وتحريضًا على السَّعيِ في إدراكِ شأوِ السّابقينَ[2].

نكتةُ تقديمِ المُسنَدِ إليه على المُسنَدِ الفِعليّ:

أثرُ التّقديمِ في التّشويقِ وتقويةِ الحكم

قدّم المسند إليه على المسند الفعليّ من باب التّشويق، فإنّ المصطفين إذا سمعوا ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾ تاقت نفوسهم إليها، فإذا سمعوا بعدها ﴿يَدۡخُلُونَهَا﴾ طاروا فرحًا بفضل الله عليهم، كما أنّ في "الإخبار بالمسند الفعليّ عن المسند إليه، إفادة تقوّي الحكم"[3].

الموقعُ النّحويُّ لقوله ﴿يُحَلَّوۡنَ﴾:

قوله تعالى: ﴿يُحَلَّوۡنَ فِيهَا﴾ و﴿وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ﴾، يجوز أن يكونا صفتين لجنّات، وأن يكونا حالين من الضّمير المرفوع أو المنصوب، في ﴿يَدۡخُلُونَهَا﴾[4].

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 33، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 315.
(2) الزّمخشري، الكشّاف: 3/ 613، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 153.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 315.
(4) الهمذاني، الكتاب الفريد: 5/ 328.

دلالةُ التّعبيرِ بقولِه ﴿يُحَلَّوْنَ﴾:

التّحلية: التّزيين، والحلية: الزّينة، وأسند الفعل إلى صيغة المجهول، لأنّهم يجدون أنفسهم محلّين بتكوين الله تعالى[1]، وليسوا هم من يحلّون أنفسهم بها.

دلالةُ ذِكْرِ شبهِ الجملةِ الظّرفيّةِ ﴿فِيهَا﴾:

الـظّـرفُ قيدٌ لتعيينِ مكانِ التّحليةِ وزمانِها

قوله: ﴿فِيهَا﴾ أي في الجنات، والظّرف هنا قيد في تعيين مكان التّحلية بالزّينة، وهو أنّه بعد دخول الجنات لا قبلها، فأفاد تقديمه الحصر؛ إذ لا مكان للتّحلية بالزّينة إلا في الجنات، وفي هذا من التّشويق للطّائعين ما فيه، وفيه أيضًا من التّحسير لغيرهم ما لا يخفى، ولو قيل: (يحلون من أساور) بترك حرف الظّرفية، لربما طمحت النّفوس إليها في الدّنيا، ولتعارض ذلك مع حرمة التّحلي بالذّهب على الرّجال في الدّنيا، ومن ثمَّ كان حرف الظّرفية هنا حاسمًا ومانعًا لكل احتمال آخر.

ولما كان الكفّار يتنعمون به في الدّنيا ويزهون به، وحُرِمَه المؤمنون بالتّحريم التّكليفي، فقد جعله الله تعالى من مظاهر النّعيم في الآخرة لعباده المؤمنين، الذين منعوا أنفسهم منه في الدّنيا طاعةً لله مع قدرتهم عليه.

دلالةُ الحرفِ ﴿مِنْ﴾:

تـنـوّعُ دلالاتِ حـروفِ المعـاني مفيدةٌ في الإبانةِ المرجوّةِ

﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾ مزيدة للتّأكيد على رأي الأخفش، ويجوز أن تكون للابتداء، وهو مُتعيِّن عند الّذين يمنعون زيادتها في الإثبات، وجوِّز أن تكون للبيان لما أنّ ذكر التّحلية ممّا ينبىء عن الحليّ المبهم[2]، وقيل: للتّبعيض أي: بعض أساور كأنّه بعض له امتياز وتفوّق على سائر الأبعاض[3].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 312.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 371.
(3) الجمل، حاشية الجمل على الجلالين: 6/ 264، والآلوسي، روح المعاني: 11/ 371.

وجهُ جمعِ السّوارِ على ﴿أَسَاوِرَ﴾:

الأَساوِرُ: جَمْعُ أَسْوِرَة، والأَسْوِرَةُ: جَمْعُ سِوارٍ[1] أي: أن أساور هو جمع الجمع، وأتي به هكذا للدّلالة على كثرة ما يتحلون به من الأساور، حتى إنه لم يُكتَفَ في التّعبير عنها بالجمع، فعمد إلى جمع الجمع، ليدل على هذه الكثرة الكاثرة.

التّعبيرُ بصيغةِ جمعِ الجمعِ غرضُهُ الدّلالةُ عن التّكثيرِ

نكتةُ تنكيرِ لفظِ ﴿أَسَاوِرَ﴾:

نكّر الأساور تفخيمًا لها بناء على كون ﴿مِنْ﴾ للتّبعيض، أو تكثيرًا لها بناء على كونها للابتداء أو البيان، وارتكازًا على إيثار التّعبير بجمع الجمع ﴿أَسَاوِرَ﴾ كما مضى.

الموقعُ النّحويُّ للفظِ ﴿أَسَاوِرَ﴾:

قوله ﴿أَسَاوِرَ﴾ هو في موقع المفعول الثّاني لـ ﴿يُحَلَّوْنَ﴾.

دلالة ﴿مِن﴾ في قوله ﴿مِن ذَهَبٍ﴾:

﴿مِن﴾ في قوله ﴿مِن ذَهَبٍ﴾ ابتدائيّة، على معنى: أُنشِئت من ذهب[2]، أو بيانيّة والجملة بيان للأساور[3].

نكتةُ تنكيرِ لفظِ ﴿مِن ذَهَبٍ﴾:

نكّر كلمة ﴿ذَهَبٍ﴾ تفخيمًا لشأنه وتكثيرًا، وفي الكلام اكتفاء، أي: من ذهب وفضّة كما اكتفى في آية سورة الإنسان بذكر الفضّة عن ذكر الذّهب، بقوله: ﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: 21]، ولكلّ من المَعْدِنَين جمالُه الخاص[4].

بيانُ أنّ التّنكيرَ للتّفخيمِ، والحذفَ للاكتفاءِ

معنى الواو في قوله ﴿وَلِبَاسُهُمْ﴾:

الواو عاطفة، وقد عُطفت بها الجملة الاسميّة ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا

العطفُ بين الجملتَيْن الاسميّةِ والفعليّةِ مفيدٌ في الدّلالةِ عن المرادِ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 102، والشّوكاني، فتح القدير: 3/ 526، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 231.

(2) أبو حيان، البحر المحيط: 7/ 497.

(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 102، والدرويش، إعراب القرآن وبيانه: 6/ 418.

(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 312.

حَرِيرٌ﴾، على الجملة الفعلية ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا﴾، ولا مانع من ذلك، بل هو حسن[1] طالما توفرت المناسبة الدّاعية إلى ذلك.

بلاغةُ القَصْرِ بتقديمِ ﴿فِيهَا﴾:

ورودُ التّقديمِ الأثيرِ للتّنبيهِ على التّنعُّمِ بالحريرِ

قدَّم الجارّ والمجرور في قوله: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ لإفادة القصر، إذ إنّ لباس الحرير مقصور على كونه في الجنّة، لا في الدّنيا، ومن فوائد التّقديم أيضًا التّنبيه على زيادة التّنعم بها، ورعاية الفواصل[2].

نكتةُ تنكيرِ لفظِ ﴿حَرِيرٌ﴾:

نكّر كلمة ﴿حَرِيرٌ﴾ قصدًا لتفخيمه ورفعةِ شأنه، ولا غَرْوَ فإذا كان الحرير في الدّنيا عزيزا نفيسا، فكيف بحرير الآخرة؟.

فائدةُ التّعبيرِ بالجملةِ الاسميّةِ ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾:

التّعبيرُ بما يُفيدُ الثّبوتَ ويراعي الفواصلَ مفيدٌ في البيانِ

ونكتةُ العدول عن الفعلية ﴿يُحَلَّوْنَ﴾ إلى الاسمية ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾، هو أنّه عبَّر بالاسميّة لبيان نوع اللّباس الّذي يلبسونه للتّنعم على الدّوام إن هم رغبوا في استدامته، إثر بيان تنعّمهم بالتّحلية بالذّهب واللّؤلؤ المعبّر عنه بالفعليّة لكونها أمرًا طارئًا يتجدّد حينا بعد حين.

ولا شك أنّ الفاصلة مَرعيَّة في هذا الأسلوب، لكن هل تكفي رعاية الفواصل كسرٍّ أوحدَ في هذا العدول؟ والجواب: لا، بل هنالك سرٌّ آخر لهذا العدول يتعلق بالمعنى؛ قال أبو السّعود في بيان هذا السّر:

قوله:﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ غيَّر الأسلوب، حيث لم يقل (ويلبسون فيها حريرًا) لا للدّلالة على أنّ الحرير ثيابهم المعتادة، أو لمجرد المحافظة على هيئة الفواصل، بل للإيذان بأنّ ثبوت اللباس

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 13/ 40.
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 13/ 40.

لهم أمر محقَّق غنيٌّ عن البيان، إذ لا يمكن عَراؤُهم عنه، وإنّما المحتاج إلى البيان أنّ لباسهم ماذا - أي نوع اللباس - بخلاف الأساور واللؤلؤ، فإنّها ليست من اللوازم الضرورية، فجعل بيان تحليتهم بها مقصودًا بالذات، ولعل هذا هو الباعث على تقديم بيان التّحلية على بيان حال اللباس[1].

وقيل: السّرُّ في هذا هو أنّ الجُمْلَة الاسمية تفيد الدّوام، وأما التّحلي بالأساور ففي وقت بعد وقت، وصيغة المُضارِع تفيد الاسْتمْرار التجدّديَّ[2].

فإن قيل: كيف يلبسون الحرير في الآخرة وكذلك الذّهب واللؤلؤ، وقد كان حرامًا عليهم في الدّنيا؟.

فالجواب: وهذا هو سرّ لباسهم إياه في الآخرة دار الجزاء، حيث يعوَّضون به حرمانَهم إياه في الدّنيا بالنَّهْي التّكليفي عن لباسه، وليكون أحد مظاهر التّنعُّم، وهكذا الشأن في كلّ ما حرموه في الدّنيا بالتّكليف الإلهي، فإنّهم ينعَّمون به في دار الجزاء بالتّكريم الإلهي.

نكتةُ إضافةِ ﴿وَلِبَاسُهُمْ﴾ إلى ضميرِ الجمعِ:

بيانُ أنّ الإضافةَ هنا للقَصْرِ والتّخصيصِ

الإضافة في قوله: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ للقصر والتخصيص، وهو من قَصْرِ الصفة على الموصوف أي: "جميع ما يلبسونه في الجنات حرير"[3]؛ بقيد أن تشتهيه أنفسهم - ويَبعُد ألا تشتهي الحرير العزيز نفسٌ - فإنّه لا يكون في دار الجزاء إلا ما تشتهيه الأنفس، لقوله سبحانه: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝٣١ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ۝٣٢﴾ [فصلت: 31 - 32] وقوله: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٧١﴾ [الزخرف: 71].

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 102.
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 13/ 40، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 233.
(3) الشّوكاني، فتح القدير: 3/ 526.

بلاغةُ الاحتباكِ في الآيةِ الكريمةِ:

من البيانِ المألوفِ الحذفُ بدلالةِ المذكورِ على المحذوفِ

في قوله تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾، احتباك حيث حذف من كلّ جملة منهما ما ذكر في الجملة الأخرى، فكأنّه قيل: (يُحَلَّوْن بها وحِلْيتُهم من أساورَ من ذهب ولباسُهم فيها حريرٌ يلبسونه)[1].

سرُّ اختيارِ لفظِ (لباس) دون (ثياب):

اللّباسُ ما يكونُ مُلامسًا للجسدِ مُختفيًا تحت الثّيابِ الظّاهرةِ

المراد باللّباس هنا ما يخالط الجسد ويتلبّس به ويلاصقه، فتُستر به العورة، ويُرتدى فوقه الثّياب الّذي يكون ظاهرًا للتجمُّل والتزيّي، قال أبو السّعود في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ﴾ [النور: 60]: ﴿أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ [النور: 60] أي الثّياب الظّاهرة كالجلباب ونحوه[2].

ومعنى ذلك أنّ اللباس هي الملابس الباطنة التي تلاصق الجسد، وما يطلق عليه في الاستعمال المعاصر: (الملابس الدّاخلية)، والثّياب هي التي تكون فوقها ظاهرة، فيتجمل بها المرء ويخالط بها النّاس ويلتقي عوامَّهم ووجهاءَهم ويمارس بها أعماله وأشغاله، ويذهب بها إلى دور العبادة كما أرشد القرآن إليها بقوله: ﴿۞يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: 31].

وفي تعبير القرآن هنا باللباس – وهو ما استتر – وكونه من حرير، إيماء إلى أنّ الثّياب الظّاهرة إنما تكون أكثر فخامة وجمالًا، وقد ذكر لنا القرآن الكريم أنّ هذه الثّياب الظّاهرة لأهل الجنات إنّما تكون من سندس وإستبرق كما قال سبحانه: ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ [الإنسان: 21] لكنّها لأهل العذاب إنما تكون من نار، لقوله سبحانه: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ [الحج: 19].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 233.

(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 195.

بلاغةُ تقديمِ تحليةِ الأساورِ على اللّباسِ:

تقديمُ التّحليةِ على اللّباسِ إظهارٌ للرّفاهيةِ والتّنعُّمِ

من أغراض تقديم التّحلية على بيان حال اللّباس أنّ ثبوت اللّباس لهم أمر محقّق غنيّ عن البيان، إذ لا يمكن عَراؤُهم عنه، بخلاف التّحلية، فإنّها ليست من لوازمهم الضّرورية، فلذا جعل بيانها مقصودًا بالذّات، فلعلّ هذا هو السّر في تقديمها، على بيان حال اللّباس[1]، و(اللّباس كما هو معهود في الدّنيا، مقدّم على الأساور، فهو من الضّروريات والأساور حاجيات).

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

جنّة الخلد وجنّة عدن:

الفرق بين جنّتي الخُلْد وعَدْن اعتباريّ، وبهما يظهر كمال المكان والمكين

أصل اشتقاق لفظة الجنّة مأخوذ من السَّتر والتّغطية، ولفظ الجنّة كما يقول ابن القيم: هو الاسم العام المتناول لتلك الدّار، وما اشتملت عليه من أنواع النَّعيم واللَّذة والبهجة والسّرور وقرَّة الأعين[2].

ثمّ بعد هذا الاسم العامّ قد تأتي أوصاف للجنّة ومنها ما ورد في القرآن الكريم من وصف الخلد ووصف عدن.

أمّا وصف الخُلْد، فقد ورد في سياق وصف حالة أهل الجنّة من الخلود فيها، مثلما جاء في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٨٢﴾ [البقرة: 82] والخُلود: هو تبرّي الشّيء من اعتراض الفساد، وبقاؤه على الحالة التي هو عليها، وكلّ ما يتباطأ عنه التّغيير والفساد تصفه العرب بالخلود ... وأصل المُخَلَّد: الذي يبقى مدّة طويلة، ومنه قيل: رجل مُخَلَّد لمن أبطأ عنه الشّيب، ودابة مُخَلَّدَة: هي التي تبقى ثناياها حتى تخرج رَباعيتُها، ثم استعير للمبقيّ دائمًا، والخُلودُ في الجنّة: بقاء الأشياء على الحالة التي عليها من غير اعتراض الفساد عليها[3] فيُفْهَم من هذا أن وصف

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 195، والآلوسي، روح المعاني: 9/ 130.
(2) ابن القيم، حادي الأرواح: 1/ 191.
(3) الرّاغب، المفردات: (خلد).

الجنة بأنها دار الخلد معتبر فيه حالة أهلها، وأنهم يبقون فيها على حالة لا يعتريهم فيها أي فساد خَلْقي أو خُلُقي، لأن ذلك من لوازم التنعم فيها.

أمّا وصف الجنّات بأنّها عَدْنٌ كما تنبئ عنه إضافة الموصوف إلى الصّفة في قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾، فإنّه مَرْعيٌّ فيه كون الجنّات دار إقامة ومستقرّ، لأنّ اللّفظ مأخوذ من قولهم: عَدَنَ بالمكان أي أقام فيه، فيفهم من هذا أنّ وصف الجنات بـ ﴿عَدْنٍ﴾ دالّ على استقرار أهلها فيها دون الرّحيل عنها، فيؤول الكلام بمجموع الوصفين أنّ الجنّة دارُ خُلْدٍ لأهلها فلا يعتريهم فيها فساد ولا خلل ولا فناء، وأنّها دار عَدْنٍ يقيمون فيها فلا يفارقونها إلا تَرَقّيًا في داخلها أي: بين الجنّات، وبهذا يظهر أنّ الفرق بين الوصفين هو فرق اعتباريّ، وبمجموعهما يظهر كمال المكان والمكين.

الحليّ والزّينة:

بـين اللّـفـظـين عمومٌ وخصوصٌ مُـطـلـقٌ، فـكلّ حُـــليٍّ زيـنـةٌ وليست كلُّ زينةٍ حليًّا

الحُليّ جمع الحَلْي، نحو: ثَدْي وثُديّ، وقد ورد ذكره في قوله تعالى: ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ [الأعراف: 148] وورد الفعل منه في قوله تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾، وفي قوله تعالى: ﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: 21][1] فالحُليّ على هذا اسم لما يتحلى به كالذّهب والفضّة، وهو نوع من الزّينة.

والزّينة: اسم دالٌّ على ما يُتَزيَّن به، وأصل (زيَنَ) يَدُلُّ عَلَى حُسْنِ الشَّيْءِ وتَحْسينِهِ[2]، والزّينَةُ ثلاث: زينة نفسيّة كالعلم، والاعتقادات الحسنة، وزينة بدنيّة، كالقوّة وطول القامة، وزينة خارجيّة كالمال، فقوله: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: 7]، فهو من الزّينة النّفسيّة، وقوله: ﴿مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: 32]، فقد حُمِل

(1) الرّاغب، المفردات: (حلى).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (زين).

على الزّينة الخارجيّة، والزّينَةُ الحقيقيّة: ما لا يَشين الإنسانَ في شيء من أحواله لا في الدّنيا، ولا في الآخرة، فأمّا ما يزينه في حالة دون حالة فهو من وجه شَيْن[1].

وعلى هذا فلفظ الزّينة أعم فيشمل الحليّ باعتباره نوعًا من أنواع الزّينة ويشمل غيره حسيًّا كان أو معنويًّا، فبينهما على هذا عموم وخصوص مطلق؛ فكلّ حليّ زينة وليس كلّ زينة حليًّا.

(1) الرّاغب، المفردات: (زين).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والأربعون،
سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والأربعون، سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 47 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-731-00-9
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 47 : المجلد السابع والأربعون، سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-731-00-9
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0968178 بتاريخ 2025/01/23م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»